مجلة كليّة التربية للعلوم الانسانيّة

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة ذي قار

المجلد الثالث عشر العدد الثاني 2023
ISSN:2707-5672

Mail: educationhumanities1@gmail.com
https://iasj.net/iasj/journal/366/about

هيأة التحرير

أ.د انعام قاسم خفيف
رئيس هيأة التحرير

ا.م.د احمد عبد الكاظم لجلاج
مدير التحرير

ت	الاسم	الجامعة	الاختصاص
1	أ.د. سعد علي زاير	جامعة بغداد	طرائق تدريس
2	أ.د. مصطفى لطيف عارف	جامعة ذي قار	اللغة العربية
3	أ.د. حيدر حسن اليعقوبي	جامعة كربلاء	علم النفس
4	أ.د. عماد ابراهيم داود	جامعة ذي قار	اللغة الانكليزية
5	أ.د. صلاح الدين احمد	جامعة عمان	علم النفس
6	أ.د. حسام الدين جاد الرب احمد	جامعة اسيوط	الجغرافية
7	أ.د. عثمان برهومي	جامعة صفاقس/تونس	التاريخ
8	أ.م.د. حيدر عبد الجليل عبد الحسين	جامعة ذي قار	التاريخ
9	أ.د. فاضل عبد الزهرة مزعل	جامعة البصرة	ارشاد تربوي
10	أ.م. انتصار سكر خيون	جامعة ذي قار	الجغرافية

الاشراف اللغوي

م.د اسعد رزاق يوسف اللغة االعربية
م.د حسن كاظم حسن اللغة الانجليزية

ادارة النظام الالكتروني: م.م محمد كاظم

الاخراج الفني: م. علي سلمان الشويلي

المحتويات

ت	اسم الباحث وعنوان البحث
1	الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وبعثته الى اليمن في عصر الرسالة م. م. دعاء خليل ابراهيم الزيدي
2	تقييم جودة القدرات البحثية للجامعات العراقية (دراسة تحليلية) المدرس الدكتور أحمد كنعان سليمان
3	الابعاد النسقية للخطاب السلطوي وتمثلاتها في شعر ابن حمديس الصقلي أ. د. حسين مجيد رستم الحصونة جاسم نافع عمير
4	تباين كثافة النقل سيارات نقل الركاب على الطرق الجنوبية في قضاء الشطرة لعام 2022 عبد داخل ناهي أ.د. أسعد عباس هندي الأسدي
5	اثر التغير المناخي في تغير عدد ايام بقاء الامواج الهوائية المستعرضة فوق العراق مروه ستار جبار التميمي الاستاذ الدكتور عزيز كوطي الحسيناوي
6	الاتصال والانفصال بين الفعل والفاعل في النحو العربي شيماء حسين صحن أ.د. أسعد خلف العوادي
7	تعارض كتب الأغلاط مع التطور الدلالي لبعض الألفاظ العربية م.د. مجيد بدر ناصر
8	المناعة الفكرية لدى طلبه الجامعة دعاء صادق عادل الزيدي م.د. عبد الخالق خضير عليوي
9	النموذج العاملي في كتاب مرزبان نامه حكاية (في ذكر العنز المحتال والكلب الزكي) انموذجاً أزهار جبار حمد أ.د. ضياء غني العبودي
10	الملك خايمي الأول دراسة في سياسته الداخلية والخارجية (605- 675هـ/ 1208-1276م) م.د حيدر ناجي مطلك
11	حكم الحدود قبل التوبة وبعدها وقبل انكار الاقرار في الفقه الاسلامي الدكتور محمد نوذري فردوسيه محمد مجيد عباس

12	الخصائص السكانية لمدينة ابي الخصيب زينب عبد الوهاب احمد المياحي
13	شعرية التواصل في مفهوم نظرية جاكسون م . م بشار هبر كاظم
14	أثر الصدق في تشكُّل الخطاب وصية النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأبيّ ذر الغفاريّ أنموذجاً أ.م. د أحمد حسين حيال
15	أثر القرآن الكريم في تطور الدرس البلاغي العربي حورية بن يطو
16	تطور فهم الأطفال للسخرية اللفظية أسامة سعدي شكر أ.م.د. هدى كامل منصور
17	الآراء الموضوعية للمستشرق جورج سيل في سيرة الرسول محمد (ص) في مقدمته التاريخية لترجمته للقران الكريم أ.م.د. حيدر مجيد حسين العليلي
18	البرنامج النووي الصيني وسياسة الولايات المتحدة الاميركية تجاهه (1955-1964) دراسة تاريخية في ضوء الوثائق الاميركية م . م . ظفار محمد يحيى البزوني
19	التباين المكاني للعوامل المؤثرة في تنظيم الأسرة في قضاء الرفاعي م. د. ضلال منذر منعثر الحسناوي
20	العوامل الخمسة الكبرى للشخصية لدى المشرفين التربويين خالدة كاظم جهاد أ.د انعام قاسم الصريفي
21	موقف الفقهاء من الخلافة الأموية م.د. نازدار عبدالله المفتي
22	الرواية القصيرة بين الأصالة والهجنة والاتباع م.م. عمار إبراهيم عزت أ.د. فوزية لعيوس غازي الجابري
23	((السيد مرتضى علم الهدى اهرمي قائد الحركة الدستورية في مدينة بوشهرودوره في ايران من 1905 - 1915)) أحمد علي رداد الصريفي نهلة نعيم عبد العالي

24	المخفي والمعلن في خلاصات السبعين لكاظم الحجاج (أزمة الشاعر الانسان في زمن الأزمات) هالة فتحي كاظم
25	منظمة الأمم المتحدة نشأتها – أعضائها – ودورها الاقليمي والدولي الاستاذ المساعد الدكتور فاضل عبدعلي حسن
26	بيئة حلب الترفيهية عند شعراء الدولة الحمدانية أ.د. عباس جخيور سدخان الوائلي م.م. زينب ريسان حميد الشمخاوي
27	اثر بعض الخصائص المناخية وامراض الجهاز التنفسي في مدينة الناصرية أ. م. د. يونس كامل علي دعاء عودة لفته
28	أثر جرائم المخدرات في الأمن الإنساني العراقي الأمن الاجتماعي إنموذجاً ماهر حيدر نعيم الجابري أ . د لطيف كامل كليوي
29	ذكر اسماء الحيوان في القرآن الكريم دراسة احصائية تفسيرية م.م. قصي حسن حميد
30	النكتة قناعا ثقافيا ناجي عباس مطر
31	نجاح الإدارة المدرسية الناجحة في المدارس الثانوية الحكومية من عند المرشدين التربويين م. م شهاب كاظم جواد
32	اثر التغيرات المناخية في مساحة المراعي الطبيعية في العراق وانعكاسها في تربية الأغنام أ م د فهد احمد فرحان العامود
33	نظم المعلومات الادارية ودورها في الابداع الاداري لمديري المدارس العراقية د. مريم اسلام بناه احمد هداد عبد
34	(المرتكز الفلسفي لتقنين السلوك الجمعي في فكر أئمة أهل البيت –ع–) الباحثة: زينب حازم كشيش أ.د. حميد سراج جابر
35	التلطف في خطابات الحرب تحليل مبادئ مرزوقه شريف عبد رميح هاني كامل العبادي

36	من ما بعد الحداثة إلى ما بعد الحداثة: جمالية الثقة في أجساد إسحاق ماريون الدافئة م. د. عمار علي كريم
37	تقويم الأوراق البحثية لطلبة الماجستير في اللسانيات خلال فترة جائحه كورونا ومابعدها : دراسة مقارنه الأستاذ المساعد الدكتور حسن كاظم حسن

أثر القرآن الكريم في تطور الدرس البلاغي العربي

حورية بن يطو
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة غليزان،الجزائر
houria.benyettou@univ-relizane.dz

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، البلاغة، تطور، النقد، المعارف اليونانية.

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى بسط تاريخي عن أثر القرآن الكريم في تطور الدرس البلاغي عبر عصور متلاحقة بفضل جهود علماء اللغة الذين طفقوا بالبحث في بلاغة القرآن الكريم وأصول بلاغات العرب لتفسير آيات الله بما ورد مثلها في كلام العرب، وقد استمرت هذه البحوث البلاغية ذات التوجه الديني الواضح إلى غاية القرن الرابع الهجري، بعد أن تسربت المعارف اليونانية وبالأخص الموروث الأرسطي إلى الثقافة العربية وما حوته تلك المعارف من نزعات عقلانية ومسائل فلسفية، وأخرى منطقية تميل إلى اصطناع الجدل والمماحكة الكلامية، وَسوْق البراهين والحجج العقلية للتعليل والتفنيد، والسؤال الذي يلقى في هذا السياق هو: إلى أي مدى كان القرآن الكريم عاملا قويا في توسيع الفكر العربي وتنويع مجالاته التي بلغت ذروة البيان العربي؟ وهل ينطبق على البلاغة ما ينطبق على النقد العربي من تباين في الرؤى واختلاف في المواقف؟ وهل كان الدرس البلاغي بعيد عن الجدل الفلسفي الذي خاض فيه النقاد في تنظيرهم للبلاغة العربية؟.

The impact of the Holy Quran on the development of the Arabic rhetorical lesson

Houria benyettou

Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Languages, University of Relizane, Algeria

Keywords: The Noble Qur'an, rhétrice, évolutions, criticismes, Greek knowledge

Abstract :

This study seeks to simplify the history of the impact of the Holy Qur'an on the development of the rhetorical lesson through successive eras, thanks to the efforts of linguists who have researched the eloquence of the Holy Qur'an and the origins of Arab rhetoric to explain the verses of God with what was mentioned in the words of the Arabs, and these rhetorical researches of religious orientation continued The obvious until the fourth century AH, after the Greek knowledge, especially the Aristotelian heritage, was infiltrated into the Arab culture and the rational tendencies and philosophical issues that those knowledge contained, as well as logical ones that tend to fabricate controversy and verbal quibble, and the rationalization of proofs and arguments for reasoning and refutation, and the question that is thrown in this context He: To what extent was the Holy Qur'an a powerful factor in expanding Arab thought and diversifying its fields, which reached the peak of the Arab statement? Does rhetoric apply to Arab criticism of disparity in visions and differences in attitudes? Was the rhetorical lesson far from the philosophical controversy in which the critics fought in their theorizing of Arabic rhetoric?

مقدمة:

وصل العرب في جاهليتهم إلى درجة رفيعة من حسن البلاغة والبيان، لذا جاء القرآن الكريم تحديا لهم أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيرا، فشعر العرب بعجزهم عند ما دعوا إلى معارضة القرآن والإتيان بمثله، ووقفوا أمام روعة نظمه وقفة عجز واعجاب وتقدير وحيرة وذهول (مراد، 1983) ولكنهم عاندوا واستكبروا ولم يستجيبوا لنداء العقل وأحاسيس الفطرة التي يستشعرونها في داخلهم، وقالوا عند سماع آيات القرآن تقرع مسامعهم وتتحداهم بأن هذا ليس من كلام البشر وليس إِلا أساطِير الأوِلين (مسلم، 1996)، إذ أكثر القرآن من ضرب المثل من ألوان التشبيه والمجاز والكناية والبديع، كما كثرت به ألوان من الطرق في أداء المعنى، "وذلك هو الطابع الإلهي والمظهر السماوي الذي تمتاز به صنعة الخالق عن صنعة المخلوق" (دراز، 1996).

وليس بخفي أن العرب وصلوا في جاهليتهم إلى درجة رفيعة من حسن البلاغة والبيان، شهد بها القرآن الكريم، وقد كان نزول القرآن تحديا لهم أن يأتوا بمثله في بلاغته الباهرة أعظم شاهد لهؤلاء القوم بمدى تفوقهم على ما أوتوه من اللّسن والفصاحة والقدرة على حوك الكلام، كما تدل على بصرهم بتمييز أقدار الألفاظ والمعاني وتبين ما يجري فيها من جودة الافهام وبلاغة التعبير (ضيف، 2008) وحين أخذ الوليد بن المغيرة بالقرآن الكريم لدى سماعه أفصح عن تذوقه الجمالي لبلاغة القرآن فقال: والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن؛ والله إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لَمُثمِر، وإنَّ أسفَلهُ لَمُغدِق، وإنّه يعلو ولا يُعلى عليه، ويبدو أن في كلام الوليد بن مغيرة ما يظهرنا على أنهم كانوا يعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية (ضيف، 2008)، وكانوا يحسون بحلاوة عباراته وطلاوة أسلوبه والمعاني الثرّة المغدقة في موضوعاته وأنه يعلو ولا يعلى عليه (مسلم، صفحة 45).

ويعرض علينا الجاحظ في بعض فصول كتابه(البيان والتبيين)كيف كان العرب يصفون كلامهم في شعرهم وخطابتهم ببرود العصب الموشاة وبالحلل والديباج والوشي (الجاحظ، 1968)، ولهذا لُقب شعراءهم بألقاب تدل على مدى تحبير كلامهم وتجويده مثل: النابغة والمهلهل والمرقش والممزق والأفوه وغيرهم ممن اقتبسوا القوانين الصحيحة في صناعة الشعر وفي أنحاء التصاريف البلاغية وكثيرا ما وصفوا خطباءهم بأنهم مصاقع لُسن كما وصفوهم باللوذعية والرَّمي بالكلام العَضْب القاطع، وفي أمثالهم جُرح اللسان كجرح اليد، ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يسمع إلى خطبائهم، فقال: إنّ من البيان لسحرا (الجاحظ، صفحة 349)، كما حفلت كتب الأدب بنماذج كثيرة تظهر المنزلة الأدبية التي حظي بها الشعراء الأولون، وهم أهل البلاغة والفصاحة والبيان، يقول الجاحظ: "لم نرهم يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعه طوال الخطب، وكانوا إذا احتاجوا إلى الرأي في معم التدبير ومهمات الأمور ميثوا (ذللوا) الكلام في صدورهم وقيدوه على أنفسهم، فإذا قومه الشقاف وأدخل الكير وقام

على الخلاص أبرزوه محككا منقحا ومصفى من الأدناس مهذبا" (ضيف، صفحة 14)، فكان من الخطباء والشعراء من يمكث حولا كاملا وزمنا طويلا في نصوصه يجيلون النظر فيها ويرددونه بالتعديل والحذف عما قد يفسده أو يهجنه، حتى يتم للقصيدة شكلها الذي يرضاه فتصبح مكتملة ومنسجمة لفظا ومعنى وموسيقى كالعقد المنظوم الذي يخرج من يد الصانع الماهر، وقد وقف الجاحظ في بيانه مرارا ينوّه بما كانوا يرسلونه في خطابتهم وكلامهم من أسجاع محكمة الرصف، فيقول: "من كان يبدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا (كاملا) وزمن طويلا يرّدد فيها نظره، فيجعل عقلة زماما على رأيه ، ورأيه عيارا على شعره، وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات، ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا" (ضيف، صفحة 10)، وقد ساعدهم في ذلك أسواقهم الكبيرة التي كان الشعراء يتبارون فيها كل عام، كسوق عكاظ بجوار مكة، والكل يريد أن يحوز قصب السبق لدى سامعيه دون أقرانه (ضيف، صفحة 10) .

فما أن جاء القرآن حتى انفضت تلك المجامع العلمية وصفرت الأندية الأدبية، فما قدر أحد منهم أن يباريه أو يجاريه (داود، 2014)، لقد "وقفوا أمام بلاغة القرآن مبهورين مشدوهين وذلك لقوة تأثيره في النفوس وجمال وقوعه في الآذان وبما له من خصائص أسلوبية تميز بها عن كلامهم وبذ فيها آدابهم حتى وجدنا من صد عن الدعوة، ولم يذعن لصاحبها صلى الله عليه وسلم، لم يقو أن يكتم إعجابه أو يخفي دهشته عن روعة القرآن وأخذه بناصية القرآن" (داود، صفحة 24)، ولعلّ الذوق العربي السليم قد ساعد أصحابه على إدراك الأساليب القرآنية في مخاطباته، وكانت قدسية القرآن وعظمته مسيطرة على نفوسهم، وبدا الإقرار بالعجز كامنا في النفوس في تفسير نظمه وبيانه، وبقي هذا الأمر بعد عصر النبوة والخلفاء الراشدين وردحا من الزمن في الدولة الأموية (مسلم، صفحة 45).

ونتيجة للنضج الفكري المبكر الذي بلغه العرب في الجاهلية، ومشافهتهم للجماهير المختلفة في الأندية والمجالس بفنون القول، ما دفعهم إلى اتجاه معاكس لضمان ميمنة هادئة، فأنكروا وافتروا على القرآن الكريم وشككوا فيه وزعموا بالقدرة على الإتيان بمثله، وقد أجاد محمد محمد داود في تلخيص هؤلاء المشككين في كتابه(كمال العربية ببن حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم) وأنقل ما قاله ابن الأثير في كتابه (النهاية في غريب الحديث والأثر) فيمن ادعى هذه الشبهة ووسوس له الشيطان بالخيلاء والجهل بالقرآن أنه يستطيع أن يأتي بمثله، كما أن التاريخ دوّن عبرا عن أناس جاءوا في معارضة والقرآن فجاءوا بكلام لا يشبه القرآن ولا يشبه كلام البشر، بل نزلوا إلى ضرب من السخف والتفاهة فكانوا سخرية للساخرين ومثلا للآخرين، ومن أمثلة ذلك أخبار مسيلمة الكذّاب، الذي يقول: "والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا"، ورجل آخر ادعى النبوة وزعم أنه أوحى اليه بأفضل من القرآن في مثل قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ *فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ *إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ ﴾ الكوثر، فقال: "إنا أعطيناك الجماهر فصّل لربّك وجاهر ولا تطع كل ساحر وكافر"، فأمر بضرب عنقه وصلبه على عود، فمرّ به أحد الشعراء فقال

له ساخرا: "إنا أعطيناك العمود فصّل لربك على عود وأنا ضامن أن لا تعود" (داود، صفحة 197)، ومنهم من عمد الإتيان على موازين الكلمات القرآنية بألفاظ ومعان سوقية "فلم يستطع وهو عربي قح أن يحتفظ بأسلوب نفسه أو أن يرقى إلى الأسلوب القرآني وإنما أتى بما يشبه كلام الصبيان في مداعباتهم) (دراز، صفحة 82/81) وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني: "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتمد الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وحكمهم وإليها مفزع حذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المتفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوّى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتّبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة" (الأصفهاني، 2009).

ومهما يكن من أمر، فمن الضروري أن نفرق بين أمرين: أولهما: أن العرب نطقوا في آثارهم الأدبية بأساليب لغتهم المختلفة من استعارة وتشبيه وكناية ومجاز وقصر وفصل ووصل وطباق وتجنيس إلخ، فهذا كان موجودًا عند العرب قبل القرآن وفي عصر القرآن وبعده وكانت ترد ورودا عفويا دونما جهد أو مكابدة وثانيهما: أن معرفتهم العلمية بأوضاع هذه الأساليب ونواحيها البلاغية والأسس النقدية التي يقوم عليها تأليف الكلام الجميل وتمييز جيده من رديئه، فهذا لم يوجد إلاّ في القرن الثالث الهجري كما ذهب إليه أكثر الباحثين، فالأدب وخواصه الأدبية موجودان من قديم، وأما معرفة هذه الخصائص ودراستها وبحثها على أنها علم معروف وأصول وقواعد مقررة، فلم يوجد إلا بعد القرن الثاني الهجري (القزويني، 1993)، "فعلم البلاغة إسلامي لا عهد للجاهليين به" (القزويني، صفحة 137)، فالتحليل العلمي للأساليب البلاغية ليست من علوم العصر الجاهلي، إنما هي دراسة متأخرة في نشأتها على أنه لا شك كان هناك في العصر الجاهلي وصدر الإسلام بعض الخصائص والأساليب البلاغية المتعارف عليها وهذا كلّه مما لا سبيل إلى الشك فيه (القزويني، صفحة 137).

وفي ضياء هذا القول، نتفهم نوعا ما أن الملاحظات النقدية التي كانت توجه للشعراء من أجل توجيه شعرهم وتهذيبه وتمييز جيده من رديئه، كانت مجرد لمحات وملحوظات بلاغية كلها خاضعة للذوق ونظرات شخصية، تقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية وسليقتهم العربية وأذواقهم الشاعرة وحسهم اللغوي الدقيق بلغتهم وإحاطتهم بأسرارها ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإيحاءات في شتى صورها (إبراهيم، 1998)، ومن تلك الملاحظات الذوقية، نقد النابغة لشعر حسان بن ثابت كان مستمدا من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ وما توحي به أبنية الكلمات من معان وإيحاءات (ضيف، صفحة 12) ونقد أهل المدينة لشعر النابغة لما فيه من إقواء كان نابعا من فهم العربي لطبيعة الشعر العربي، وما ينبغي أن يكون عليه من انسجام في الوزن واتساق في النغم، والأمر الذي يتطلب . ضمن ما تتطلبه قواعد الشعر العربي . وحدة حركة الروي التي تكسب الشعر اتساقا وانسجاما، ولذا كان اختلاف حركة الروي (الاقواء) في شعر النابغة مذهبا لروعة الوزن واتساقه بل محدثا لنوع من التنافر في النغم مما جعله غير متسق ولا منسجم(ضيف، صفحة 28).

التطور من تسجيل الملاحظات إلى وضع الدراسات :

لما اتسعت دائرة الفتوحات الاسلامية واختلط العرب بالأعاجم، بدأت ثقافتهم تأخذ طريقها إلى المجتمع الإسلامي على يد أبناء الأقطار التي فتحها المسلمون، تسرب الضعف إلى سليقة العربي ففشا اللّحن في العربية وضعفت الملكات، ولما طال هذا الامتزاج ولم يبق الاعتماد على الذوق وحده استدعى ذلك القيام بما يحفظ، ويمكّن غير العرب من تعلّمها، فكان لابد من أن تقعَّد القواعد وتقنّن للحفاظ على العربية وصونها من اللحن والاختلاط(الوادعي، 2017)، فوضع أبو عبيده كتابه(مجاز القرآن) مشيرا إلى بعض المظاهر البلاغية كالإطناب بزيادة الحروف للتأكيد، وكالإجمال استغناء عن التفصيل، وكالتقديم والتأخير ،وقد استعمل كلمة المجاز بمعنى التأويل أو التفسير(عتيق، 2001) وطفق يبحث في بلاغة القرآن الكريم وأصول بلاغات العرب لتفسير آيات الله بما ورد مثلها في كلام العرب، فهو وإن كانت عنايته لغوية فلقد كانت له بعض الملحوظات البيانية (عباس، 1997)، ولهذا عُد (مجاز القرآن) من الكتب الأولى التي ألفت في دراسات البيان وموضوعاته(القزويني، 1993، صفحة 132)، بعد أن تسربت الكتب المترجمة عن اليونان وما حوته من نزعات عقلانية ومسائل فلسفية وأخرى منطقية تميل إلى اصطناع الجدل والمماحكة الكلامية، وَسوْق البراهين والحجج العقلية للتعليل والتفنيد.

ولا غرو إذا قيل: إن الدرس البلاغي نشأ وأيفع في حضن الدراسات الدينية وسار جنبا إلى جنب مع البحوث اللغوية ذات التوجه الديني الواضح إلى غاية القرن الرابع الهجري، وهنا تأثرت البلاغة باتجاهين مختلفين، وهما : المدرسة الأدبية والمدرسة الكلامية، وقد ساهمت هتين المدرستين في تطور علم البلاغة بشكل كبير في العصر العباسي، تميزت المدرسة الأدبية بالإكثار المسرف من الشواهد الأدبية شعرا ونثرا، مع الإقلال من التعاريف والقواعد والاعتماد في التقويم الأدبي على الذوق الفني وحاسة الجمال، أما المدرسة الكلامية فتميز ت بالطابع العقلي الذي يحمل أفكار الفلاسفة والمناطقة ونزعاتهم العقلانية التي تميل إلى التحديد اللفظي واصطناع الجدل والمماحكة الكلامية وَسوْق البراهين والحجج العقلية للتعليل والتفنيد، مع الاقلاق من الشواهد الأدبية والاعتماد على المقاييس الفلسفية والقواعد المنطقية في الحكم على الكلام بحسن وجودته أو قبحه ورداءته، وفي هذا إشارة ضمنية إلى تسرب المعارف اليونانية وبالأخص الموروث الأرسطي إلى الثقافة العربية وتأثير ذلك على الفكر العربي الاسلامي، وتعنى المدرسة الكلامية بالدراسات القرآنية والبحوث الإعجازية التي هي ملتقى ما بين الأدب والعقائد والفلسفة الإلهية، على حين تعنى المدرسة الأدبية بالتكوين الأدبي والتمرين على صناعة الجيّد من الكلام، و تربية الذوق للناقد (الخولي، 1961) .

ومن ممثلي رجال المدرسة الأدبية المحافظة على ممارستها الفنية للنشاط الأدبي ثلّة من الأولين في القرن الثاني والثالث الهجريين، نذكر منهم على الترتيب الزمني: البرمكي جعفر بن يحي الوزير

ISSN:2707-5672

(ت.190هـ) بتوقيعاته وتوجيهاته، عبد الحميد الكاتب(ت.132هـ) برسالته إلى أهل صناعة الكتابة، ابن المقفع (ت.142هـ) بممارسته وتوجيهه، وهناك رجال من أصحاب الثقافة الأجنبية الجديدة لكنهم وقفوا بفلسفياتهم مع أدبهم موقف المؤصل في كثير من المسائل التي شغلت الناس كإعجاز القرآن بنظمه، نذكر منهم: الجاحظ(ت.255هـ) ابن قتيبة الدينوري(ت.276هـ) المبرد(ت.286هـ) وهناك رجال أصحاب مؤلفات متخصصة نعدّ منهم: عبدالله بن المعتز(ت.296 هـ) قدامة بن جعفر (ت.337هـ) وهو ممن نجد فيه ملتقى المدرستين وتداخل التيارين في الدرس الأدبي توجيها ونقدا، أبو هلال العسكري(ت.365 هـ)الذي أضاف الجديد من فنون البديع وطرائق التعبير، ومن أصحاب الحديث عن الاعجاز من رجال البلاغة نعد منهم: الرمانّي(ت.384هـ) الباقلاني(ت.403هـ) ومن رجال هذه المدرسة أيضا ابن رشيق المسيلي(ت.463هـ)ابن سنان الخفاجي(ت.466هـ)، عبد القاهر الجرجاني(ت.471هـ) وهو ممن نحتسب منهم في طمأنينة تداخل المدرستين في دراسته، وابن الأثير ضياء الدين(ت.673هـ) وغيرهم ممن طبعت بحوثهم البلاغية بطابع أدبي أصيل، ومن ممثلي رجال المدرسة الكلاميّة: الزمخشري جارُ الله(ت.538هـ) إذ فسّر فطبق اصطلاحات وقدّم تخريجات كانت خدمة مباشرة للنزعة الفلسفية البلاغيّة، السكاكي أبو يعقوب يوسف (ت.626هـ) لما أورده في البلاغة من قواعد منطقية وضوابط عقلية وتقسيمات منطقية (الخولي، صفحة 137/136).

من الواضح أن اهتمام المسلمون بالدرس البلاغي كان من مبعث اهتمامهم بالنص القرآني وبيان إعجازه كواجب أولا، بحيث أسهم المفسرون في تطوير البلاغة وذلك بالتعرض عند تفسير آيات القرآن إلى إبراز جانبها البلاغي لفظا ومعنى وأسلوبا (عتيق، صفحة 32)، وهو ما نقل قضية إعجاز البيان القرآني إلى الميدان البلاغي على وجه التخصيص، ثم حاجتهم الماسة للمحافظة على سلامة الذوق البلاغي ثانيا بعد اختلاط العرب الفصحاء بغيرهم، حيث بدأت السليقة العربية تفقد صفاءها مع تلك الفتوحات اللغوية وامتزاج الثقافات على حساب النقاء اللغوي، على إثر ذلك بدأ الناس يفكّرون بطريقة عقلية مجرّدة في التذوّق الجمالي وإدراك المعاني بالسليقة الصافية (مسلم، صفحة 46) لفهم آيات القرآن وتذوق بلاغته .

أثر النقد الأدبي في تطور الدرس البلاغي إلى حدود القرن السابع الهجري:

لعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن خير ما أُثر عن المدرسة الكلامية في البلاغة حتى أوائل القرن الثالث الهجري صحيفة بشر بن المعتمر النقدية(ت210هـ)التي رواها الجاحظ في (البيان والتبيين) في باب (ذكر ناس من البلغاء والخطباء والأبيناء والفقهاء والأمراء ممن كان لا يكاد يسكت مع قلة الخطأ والزلل منهم) (الجاحظ، صفحة 98)، وهي تجري على هذا النمط: "خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغِ بالك وإجابتِها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرف حسبًا، وأحسن في الأسماع وأحلى في الصدور،

وأسلم من فاحش الخطأ، وأجلب لكل عينٍ وغُرّةٍ، من لفظ شريف ومعنى بديع واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومُك الأطولُ بالكدّ والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة" (الجاحظ، صفحة 51).

ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى أن بشر بن المعتمر يُعد من الرعيل الأول من مؤسسي علم البلاغة العربية(عتيق، صفحة 25)، وهو أول ما ألف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثرا وشعرا وفيه كثير من بحوث البلاغة المتصلة بالمجاز وصوّره، وقد شرح الجاحظ مضمون هذه الوثيقة البلاغية التي تعتبر كدستور للبلاغة من وجهة نظر بشر بن المعتمر (عتيق، صفحة 29)، حيث أشاد فيها بإيجاز الكلام وأن يكون لكل موضع قول يحسن فيه، كما يدعو في البيان كثيرا إلى ترك الوحشي والسوقي، ويحث على الإفهام والوضوح وعلى ترك التعمق والتهذيب في صناعة الكلام (القزويني، صفحة 6)، فالجاحظ بذلك له فضل إبانة في اتساع دائرة الملحوظات البيانية بفضله، وذلك لسعة ثقافته واطلاعه، فقد استعان بملحوظاته على بلورة بعض أصول البلاغة وقواعدها خاصة فيما يتصل بالتشبيهات والمجازات التي هي موضوع علم البلاغة.

وظلت هذه الملاحظات البلاغية تنمو وتتكاثر ،حتى آتت أكلها لدى بلاغيين عباسين، وهما ابن المعتز (ت.296هـ) وقدامة بن جعفر(ت.337هـ) ، فالتقطا منها ما يتصل بتحسين اللفظ والمعنى وجعلاها أساسا لدراستهما البيانية المتصلة بعلوم البلاغة، فقد وضع ابن المعتز كتاب (البديع) وأشار إلى أنه أول من نظم وجمع فنون البديع وألف فيها كتابا، وذكر فيه أنواعا مما بنيت عليه البلاغة(عباس، صفحة 72)، ويشير في موضع آخر –ردا على من زعم من معاصريه أن بشار بن برد ومسلم بن الوليد وأبا نواس هم مبتدعيه وسابقون إلى استعماله في شعرهم– إلى أن البديع لم ينشأ في هذا العصر من العدم، وإنما كان معروفا من قبل يأتي عفو الخاطر بلا تكلف، فيقول: " قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس من تقيّلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعُرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه" (المعتز، 1979).

ويوضح ابن المعتز أنه لم يجعل البديع خمسة فنون (الاستعارة، التجنيس، المطابقة، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، المذهب الكلامي)عن جهل بمحاسن الكلام ولا ضيق في المعرفة، ثم دعا غيره من النقاد والبلاغيين أن يضيفوا ما يرونه وبالا على البديع، فيقول: "ويعلم الناظر أنا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة اختيارًا، من غير جهل بمحاسن الكلام، ولا ضيق في المعرفة، فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة، فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأتِ غير رأينا، فله اختياره" (المعتز، صفحة 152) .

ثم جاء قدامة بن جعفر وزاد على ما ذكره ابن المعتز من أنواع البديع، تسعة أنواع وهي عنده أحسن البلاغة وهي: الترصيع، الغلة، صحة التقسيم، صحة المقابلات، صحة التفسير، الإشارة الإرداف، التمثيل، الإيغال، وبهذا ينسب إلى قدامة أنه أول من نبّه إلى تقسيم ألوان البديع إلى معنوي ولفظي، وأول من طرح فكرة الجيّد والرديء في الشعر بمقدار ما يحويه من صنعة وتفنن في الصورة.

ومما لاشك فيه أن قدامة ينصرف إلى جمالية الشكل الخارجي للشعر وبالتزويق والتنميق اللذين هما عنده عماد البلاغة وسّر الفصاحة وهذا ما أقره عبد القادر هني، في أن "قدامة يفصل بين الجوهر والمادة فيجعل الإبداع الفني وقفا على الشكل، أما المحتوى فلا يهمه فيه إلاّ الصورة التي يبرزه فيها"(هني، 1991) .

لم يفرد قدامة بابا خاصا للبلاغة في كتابه (نقد الشعر) وإنما أشار اليها من خلال حديثه عن الشعر الذي ربطه بالوزن والقافية مع صلة مدلوله بالمعنى اللغوي، ومن ثم فإن جهوده في بحث مسألة البلاغة لا تنكر، فقد اجتهد في تقديم حدّ للشعر وتفصيل للقضايا المتعلقة به ومكوناته التي كانت رائجة في أيامه، ينضاف إلى ذلك كله أن قدامة "هو أول ناقد عربي يجنح إلى مفهمة المفاهيم وتأصيل المصطلحات المتمحضة لنقد الشعر، على نحو منهجي رصين"(مرتاض، 2019)، لكن ما يؤخذ على قدامة بن جعفر أنه توغل في أخذ الشعر بتقسيمات المنطق، والسير في دراسته بالروح العلمية المحضة ونسيانه الذوق السليم والحساسة الفنية فيه، وحاول التنظير لنقد الشعر في أدق المفاهيم السائدة على عهده مستفيدا من حصاد النقاد الذين سبقوه، ويصل منه ما انقطع من عهد محمد بن سلام الجمحي حين قرّر أن النقد صناعة وثقافة، وأن لابد فيه من دربة(جعفر، 1900) وأن الشعر أيضا مركب من مادة، يقع منها تصوير شيء مثل الخشب بالنسبة للنجار والفضة بالنسبة للصائغ .

ومهما يكن من أمر، فإن ما أبداه ابن المعتز يمكن القول أن "البلاغة منذ كتاب 'البديع' لعبد الله بن المعتز أصبحت واضحة المعالم نسبيا" (درويش، 1991)، وبدأ مفهوم البلاغة في ضوء ما قدمه ابن المعتز وقدامة بن جعفر يتبلور ويتحدد – بعدما بدأ بنظرات للجاحظ وغيره ممن سبقوه – ويزاحم النقد(زكي، 1997) وإذا كان كتاب (البديع) لابن المعتز قد عذا فتحا جديدا في مجال البحوث النقدية والبلاغية خاصة، إذ أن أهم ما حققه أنه أرسى القواعد المنهجية لعلم البلاغة فضلا عن البديع أحد فروعها، فإن القرن الرابع للهجرة يكاد يجمع عليه النقاد أنه العصر الذي شهد فصلا منهجيا بين النقد والبلاغة بعد أن غبرت به هذه الأخيرة زمنا طويلا تعرف بالنقد ويعرف بها، وانطلاقا من ذلك القرن "انفصلت البلاغة بعلومها وفنونها ومباحثها عن النقد بل وزاحمت هذا الأخير وطغت عليه مما أوجد ما يمكن أن نطلق عليه : النقد البلاغي الذي يهدف إلى تقويم الأثر وفق الأصول البلاغية" (درويش، صفحة 30)، ويقابله ما يسمى بالنقد الأدبي الخالص.

وبعبارة أخرى، إن البلاغة والنقد يتفقان في ميدان البحث الذي يمثله النص الأدبي بينما يفترقان في طريق المعالجة وأسلوبها، فـ" عناية البلاغة بالأسلوب وخصائصه وما يطوي فيه من وسائل تحسينية عرفت تحت اسم : البيان والمعاني والبديع، بينما النقد يتوجه باهتمامه إلى الصلة بين الأثر الأدبي وصاحبه، كما يعني بكل ما هو ظاهر باطن في النص الأدبي ليقدر بدّقة درجته الفنية" (الجويني، 1998)، وكان ممن مثل اتجاه النقد البلاغي في المشرق العربي أبو هلال العسكري، الذي "دفع الدراسات النقدية إلى الامتزاج بالبلاغة في الصناعتين، حيث استوعب ما سبقه من دراسات وعرضها في مؤلفه، فمزج بين مباحث نقدية خالصة، وأخرى بلاغية خالصة، فقدم مبحث السرقات بجوار غيره من مباحث البلاغة"(درويش، صفحة 52)، فكان بذلك كتاب الصناعتين نقطة تحول النقد إلى البلاغة(مندور، 1996)، بعدما كان خالصا عند ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات فحول الشعراء) وابن قتيبة في (الشعر والشعراء) والآمدي في موازنته بين لأبي تمام والبحتري، والقاضي الجرجاني في وساطته.

ويذهب محمد مندور إلى أن "كتاب الوساطة لعبد العزيز الجرجاني، يعد آخر كتاب في النقد الأدبي الخالص، وهو الباب الذي يسلمنا إلى كتب النقد البلاغي" (مندور، صفحة 315)، وكان قد رهص لهذا الاتجاه نقاد قبل عبد العزيز الجرجاني، كابن المعتز في كتابه (البديع) والجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) وقدامة بن جعفر في كتابه(نقد الشعر) فهؤلاء النقاد بمصنفاتهم تلك فجروا الاتجاه البلاغي الواضح والبيّن في النقد في تلك الفترة ما بين القرنين الثالث والرابع الهجريين.

ثم أخذت البلاغة تتطور مع مسألة عمود الشعر عند البحتري والآمدي، لكنه تبلور مع أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي في المقدمة التي استهل بها شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام وكان متأثرا بالقاضي الجرجاني، إذ يقول: " ...الواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، ليتميز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم إقدام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الآتي السمح على الأبي الصعب"(المرزوقي، 1991)، يضاف إلى ذلك أن المرزوقي ذكر لعمود الشعر سبعة أبواب يقول:" إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات، والمقاربة في التشبيه والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ومناسبة المستعار منه والمستعار له، ومشاكله اللفظ للمعنى وشده اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر ولكل باب منها معيار". (المرزوقي، صفحة 9) .

لم يكتف المرزوقي بسرد أبواب عمود الشعر، بل راح يدرس كل باب على حدة، ويوضح وجه البلاغة فيه ويضع الإطار الشعري والجمالي للقصيدة العربية القديمة، كما يكشف عن أصول البلاغة العربية للشاعر والمتلقي على حدّ السواء.

وفي القرن الخامس الهجري، وصل البحث البلاغي إلى ذروته في كنف إعجاز القرآن على يد الإمام عبد القاهر الجُرجاني (ت. 472هـ) من خلال كتابيه: (دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) حيث صاغ من البلاغة علما مستقلا، دون أن يتنكر للذوق وحسّ الجمال(المازن، 2014)، بحيث استطاع أن يضع نظرية متكاملة البنيان للبلاغة العربية، فتحدث في (الدلائل) عن النظم، أي التركيب بين اللفظ والمعنى، وهو الذي كان أساسا فيما بعد لعلم المعاني، وتحدث في (الأسرار) عن بعض الموضوعات الفنية كالتشبيه والاستعارة، والمجاز، وهو ما عرف فيما بعد بعلم البيان، ولكن عبد القاهر الجرجاني لم يجعل لكل علم من العلمين دائرة خاصة به(عباس، 1997، صفحة 74)، ولعلّه أول من أشار إلى النظم الذي يتساوى فيه اللفظ والمعنى متجاوزا نظرية الجاحظ البيانية التي تعتد باللفظ والصيانة قبل المعنى، ومما يؤكد هذا الاتجاه البلاغي عند الجاحظ تأكيده على الإعجاز اللفظي البياني للقرآن الكريم، مفضلا اللفظ على المعنى ومظهرا مزية الأول على الثاني، يقول: "ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه، متخيرا من جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حبّب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول.. وخفّ على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريّض" (الجاحظ، صفحة 8).

إن فكرة النظم التي قام عليها البحث البياني عند عبد القاهر الجرجاني تقوم على أن مهمة النحو لا تقتصر على جانب صحة التركيب النحوي، وإنما تتعدى إلى مراعاة المعنى، فهو يؤسس لخطاب نقدي متميز يدرك حدود النّص الجمالية والفنية تمام الإدراك، وظهرت كلمة البلاغة عنده بمدلولها الاصطلاحي المعروف، ولهذا يقول المؤرخون للبلاغة إن عبد القاهر هو الذي وضع الأسس الواضحة لهذا العلم بتأليفه كتاب (دلائل الإعجاز) في علم المعاني و(أسرار البلاغة) في علم البيان (سلام، 2002) .

لم يشأ منهج عبد القاهر الجرجاني أن يستمر ويتطور في ميدان النقد والبلاغة، فقد خلا سبيله لسيطرة المنطق الشكلي على التفكير النقدي والبلاغي في أواخر القرن السادس الهجري وسرعان ما تعطلت الينابيع العقلية والذوقية التي أمدت الزمخشري وعبد القاهر الجرجاني بكتاباتهما البلاغية، وكان من أسباب ذلك سريان روح الجمود والتعقيد في الأدب بنوعيه: شعرا ونثرا، وانعكس ذلك على البلاغيين من خلال الشروح والتلخيصات الجافة، التي كانت تدرس القواعد البلاغية دون عناية بتحليل النصوص الأدبية، وتمتزج بمباحث منطقية وفلسفية وكلامية وأصولية، وكان أول من دفعها في هذا الاتجاه الفخر الرازي(ت.606هـ) إذ صنف أول تلخيص لكتابي عبد القاهر الجرجاني(دلائل الإعجاز) و(أسرار البلاغة) في كتاب (نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز)ثم خلفه بعد ذلك السكاكي في القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم)، وهو أول من فصّل موضوعات كل من علم المعاني والبيان على حدة (عباس، صفحة 74).

ففي أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري، أخذت البلاغة العربية تنحدر إلى هاوية الاسفاف والانحطاط على يد مدرسة جديدة، تزعمها سراج الدين أبو يعقوب السكاكي حيث قسم البلاغة

إلى ثلاثة أقسام :المعاني والبيان والبديع، وقد بدأ السكاكي في تعريف كل قسم من أقسام البلاغة بتعريف جامع له، ولعلّ السكاكي في تقسيمه البلاغة إلى علمي المعاني والبيان ، قد أخذ قول الزمخشري في الكشاف، إذ يقول: " ..ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الاّ رجل قد برّع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان..." (الزمخشري، 2012)، فلخص السكاكي على هدى الرازي نظرية النظم التي بسطها عبد القاهر في (الدلائل) وما اتصل به من قواعد وأصول ووضعها تحت علم المعاني، ولما انتهى من ذلك انتقل إلى علم البيان، فلخص على هدى الرازي أيضا ما قاله عبد القاهر في (الأسرار) عن الحقيقة والمجاز والتشبيه والاستعارة، وألحق السكاكي بهذه الألوان لون الكناية التي تعرض لشرحها عبد القاهر في (الدلائل) وسمى ذلك كله علم البيان.

وهكذا تم تلخيص السكاكي لعلمي البلاغة: المعاني والبيان وما ألحقه بهما من الفصاحة المعنوية واللفظية ,ما يتبعهما من المحسنات البديعية، حيث فصل البلاغة عن الفصاحة وجعل لكل منهما مجاله الخاص، على غرار الجرجاني الذي لم يفرق بينها، وقسم الفصاحة الى قسمين :قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ ويقصد بها المحسنات اللفظية التي جعلها من باب الفصاحة وهو تلخيص أشاع في الكثير من العسر والالتواء ونحا بالبلاغة نحوا جديدا فجرى على طريقة من الغوص والتمعن بقواعد البلاغة إلى أعمق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة، فتحجرت على يديه البلاغة وتحولت كما يقول شوقي شيف :"إلى علم بأدق المعاني لكلمة علم فهي قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمنع النفس إذا سلط عليها المنطق بأصوله ومناهجه الحادة، حتى في لفظها وأسلوبها الذي لا يحوي أي جمال، وما للجمال والسكاكي؟ إنه بصدد وضع قواعد وقوانين كقوانين النحو وقواعده وهي قواعد وقوانين تسبك في قوالب منطقية جافة أشد ما يكون الجفاف"(ضيف، صفحة 288).

وبهذا قرّر عمر أوكان أن السكاكي كان له الفضل في تجديد دراسة البلاغة العربية، لاسيما اهتمامه بالجانب التداولي للغة الأدبية، والذي ساعده على إدراكه هو الدمج بين البلاغة والمنطق والصرف والنحو والعروض واللغة، مما أدى إلى إنتاج هذه البلاغة العامة التي يسميها أدبا، ثم أوعز عمر أوكان إلى مشروع السكاكي الذي أصابه الجمود والتقعيد ونزل به الضّيم ومسخ على يد القزويني الذي أوقف تطوره من خلال الاختصار الذي قام به في كتابيه(تلخيص المفتاح) و(الايضاح)، حيث حول هذه البلاغة إلى بلاغة مختزلة تقتصر على تلخيص الجانب المختص بعلمي المعاني والبيان(ويدخل البديع لدى السكاكي ضمنهما ولا يعتبره قسما ثالثا) دونما سواهما من الأقسام الأخرى التي طواها النسيان كالصرف والنحو والعروض ..الخ (أوكان، 2001).

وفي القرن السابع الهجري، نجد ناقدا بلاغيا دفع بالبلاغة العربية إلى الأمام من خلال كتابه (المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع) لأبي القاسم السجلماسي، وهو كتاب لم يؤلف في البديع كما يوحي اسمه، وإنما يهدف إلى استقراء القوانين العامة للكتابة الفنية، فهو يختلف عن "البديع الذي جعله

البلاغيون المتأخرون السابقون عليه تابعا لعلمي المعاني والبيان، وأطلقوا عليه وجوه تحسين الكلام"(الروبي، 1986)، لأن السجلماسي كان يهدف تقصي قوانين الكتابة الفنّية وتصنيفها متضمنة علمي البديع والبيان وصناعة الشعر والبلاغة بشكل عام.

والظاهر أن السجلماسي يعد علم البيان مرادفا لعلم البلاغة، وربما يكون أشمل منه، لأنه ربط الأجناس البلاغية العشرة بعلم البيان، إذ يقول :"..إن هذه إن هذه الصناعة الملقبة بعلم البيان وصنعة البلاغة والبديع مشتملة على عشرة أجناس عالية، وهي: الإيجاز والتخييل والإشارة والمبالغة والوصف والمظاهرة والتوضيح والاتساع والإنشاء والتكرير"(السجلماسي، 1980)، وقد جعل الخطابة والشعر يعتمدان على علم البيان في عملية الانشاء الأدبي، لأن علم البيان حسب السجلماسي يمد الخطابة والشعر بقوانين العبارة البلاغية، فمشروع البلاغة عند السجلماسي يكمن في البحث عن فيما ينتظم الخطابة والشعر من حيث بناء العبارة والبحث في الكليات التي تنظم أساليبها .

يقرّر السجلماسي غاية دراسة علم البيان وتحديد أصول العملية الشعرية في وضوح كبير لتصويب وتقويم نظرة النقاد الجارمة في زمانه، فهو لم يبتغي غير تمييز الوضيع من الجيّد حتى يتثبت النقاد في عملهم، ويتجلى ذلك في ردّه القوي على قدامة بن جعفر في نوع المطابقة أحد علوم البيان يقول السجلماسي: ".. وعلى هذه الجهة نقل قوم من حذاق أهل علم البيان ومنتحلي صنعة البلاغة (...) اسم المطابقة على معنى المنافرة والمخالفة إلى هذا النوع من علم البيان، وقوم ومنهم قدامة بن جعفر الكاتب يرون أن المطابقة هي اشتراك المعنيين في اللفظ الواحد بعينه فيجمعهما اللفظ لا المعنى.. لأنه قد تقرر أنه ليس من موضوع اللغة الأصيل، وإنما هو مولد لهج به قوم من الكتاب وناس من العلماء، إما لعدم البصر بلغة العرب واما للتساهل وترك التحقيق في استعمال هذه الأمور.. وهو غلط ولحن غير مأبوه له.. وإن كان يرى (قدامة) أن الشرف هو للمعنى الذي يرى هو تلقيبه باسم الطباق ونحن نلقبه باسم التجنيس ...فأنت تعلم ضرورة فساد ما ذهب اليه قدامة وغيره في هذا الأمر..." (السجلماسي، صفحة 143/142).

والمتأمّل في حديث السجلماسي، يجد أن البديع أصبح يكتسي عنده صبغة تراجعية عن الاستقلال الذي عرفه على يد المتأخرين – بعد ابن المعتز والسكاكي – بين علم البيان في إطلاقه العام وبين صناعة البديع في مفهومه الجديد، فالسجلماسي أفرد لونا جديدا لمفهوم البديع، إذ أصبح يحمل معنى البلاغة والنقد في عصره، فهو يختلف عن "البديع الذي جعله البلاغيون المتأخرون السابقون عليه تابعا لعلمي المعاني والبيان وأطلقوا عليه وجوه تحسين الكلام"(الروبي، مفهوم الشعر عند السجلماسي، 1986)، ولعلّ الذي دفعه إلى ذلك تيار البديعيات في عصره والتوسع الضخم في أقسام البديع، وقد أدى التمادي في نظم البديعيات إلى ضحالة الفكر البلاغي وضموره، جراء الإسراف في الصنعة والزخرف والتفنن في إيجاد أنواع بديعية أخرى وإحصائها "وكأن المسألة تحولت إلى تكاثر بالأرقام" (ضيف، صفحة

375) على رأي شوقي ضيف، مما جعل السجلماسي ينظر إلى شعر القرنين السادس والسابع الهجريين نظرة تدعو إلى تنقية البلاغة مما علق بها والعودة بالبحث البلاغي إلى النهج الذي سلكه الجاحظ ومن قبله.

ومن أجل هذا حدّد السجلماسي اتجاهه الفلسفي في تناول مباحث علم البيان، اعتمادا على التنظير الفلسفي والتراث الشعري والأدبي الذي عرفته العصور العربية "وفهم ما ينبغي أن تكون عليه الصناعة البلاغية والملكة البيانية" (السجلماسي، صفحة 105)، حيث أكد السجلماسي أنه بصدد وضع منهج جديد لصناعة البديع في إطار علم البيان "بعد أن وجد العرب جاهلين بالقانون العلمي الصحيح لهذه الصناعة والذي ينبغي معرفة عناصره في إطار مناقشة البلاغة أو فلسفة أبنية الكلام ودلالته اللفظية والمعنوية في نسق تنظيري محكم يثبته المنزع كله" (السجلماسي، صفحة 104).

والذي لا ريب فيه أن السجلماسي تجاوز مرحلة الشروح والتلخيصات التي سنها القزويني وأرسى دعائمها المتأخرون، وكان له الفضل في الخروج من أسرها ، وهو ما اعترف به عمر أوكان واعتبر أن المنزع البديع خير ممثل للخروج عن التقسيم المدرسي الذي وضعه السكاكي وقدسه المتأخرون بعده كما أن أهمية هذه البلاغة البناوية تكمن في عدم حصر البديع في المحسنات اللفظية والمعنوية، بل الرجوع به إلى دلالته الأولى عند العرب، حيث أن البديع هو البلاغة عموما، ومن هنا فالبديع مثله مثل البلاغة صناعة ترجع إلى صناعة القول ودلالته على المعنى المقصود (أوكان، صفحة 115)، وفي هذا الصدد يوضح الدكتور منير سلطان حقيقة معنى البديع في صورة بلاغية أكثر وضوحا، بقوله: "أن الأسلوب المبتدع هو الذي يؤدي إلى البلاغة وهو الذي يعطيها البديع وبالتالي تكون الفنون البلاغية كلها فنون لتحقيق درجة الابداع فالتشبيه والمجاز والكناية والطباق ...وغيرها من الفنون، إنما هي أوعية يحاول الفنان أن يصب فيها ابتكاره وإبداعه ونبوغه وقد ينجح وقد لا، فليس هناك فنون بديعية إنما هناك فنون تحاول أن تحقق البلاغة في أبدع صورها" (سلطان، البديع تأصيل وتجديد، 1982).

من هنا، نرى أن السجلماسي قد أعاد النظر في طرح التراث العربي كوجود وحضور فكريين محاولا إبراز قدرته على التحدي في إمداد هذه الدراسات بالمادة الخام على أساس من الفهم الجيد والجديد لمفهوم البديع، في دنيا تجديد علم البلاغة، والابتعاد عن الاستلاب الذي وقع فيه الجيل السابق لعدم فهمهم لفن البديع، وبهذا صار السجلماسي ناقدا ومبدعا في مجال البحث البلاغي واستطاع أن ينافس حازم القرطاجني الذي بنى علما للشعر، فحاول أن يقابله ببناء علم للبلاغة شامل لقوانين أساليب النظوم المختلفة، ويؤكد الأستاذ علال الغازي محقق كتاب المنزع البديع أن السجلماسي أخرج الدرس النقدي والبلاغي من فوضى التحديد والتحليل وفقر المصطلح إلى وضعه في إطار 'العلم' و'الصناعة' النظمية أكثر من عهدها عند النقاد العرب، بل تفوق على أرسطو وكانت له معه جولات كان فيها المنظر الذي لا

يجارى"(السجلماسي، صفحة 53)، ولعلّ تجربته الفلسفية وعقليته المنطقية أسعفته على وضع نظرية متكاملة في النقد الأدبي والبلاغة.

ومهما يكن من أمر، فإن الدرس البلاغي قد نشأ وأيفع في حضن الدراسات الدينية وسار جنبا إلى جنب مع البحوث اللغوية ذات التوجه الديني، حيث أسهم المفسرون في نهضة البحث البلاغي من خلال تفسير آيات القرآن وإبراز جانبها البلاغي لفظا ومعنى وأسلوبا، واستمرت جهودهم إلى غاية القرن الرابع الهجري، بعد أن تسربت المعارف اليونانية إلى الثقافة العربية وما حوته من نزعات عقلانية ومسائل فلسفية، وأخرى منطقية تميل إلى اصطناع الجدل والمماحكة الكلامية، فقد من خلالها النقد العربي ذوقه الخالص وصفاءه نتيجة امتزاج الثقافات على حساب النقاء اللغوي، ما دفع علماؤنا على تعاقب الأجيال يفكّرون في الأخذ بالمنهج العربي في الدراسات البيانية والأدبية، وهو المنهج القائم على القرآن الكريم واللغة والشعر.

قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن المعتز.(1979). البديع (الطبعة الثانية). بغداد: مطبعة الأوفست، مكتبة المثنى.
2. أحمد كمال زكي.(1997). دراسات في النقد الأدبي الحديث(الطبعة الأولى).الشركة العالمية للنشر، لونجمان.
3. الجاحظ.(1968). البيان والتبيين (الطبعة الثالثة، الجزء الأول). القاهرة: مكتبة الخانجي.
4. الخطيب القزويني.(1993). الإيضاح ي علوم البلاغة (الطبعة الثالثة الجزء الرابع). بيروت: دار الجيل.
5. الراغب الأصفهاني.(2009). المفردات في غريب القرآن (الجزء الأول). مكتبة نزار مصطفى الباز.
6. الزمخشري.(2012). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار المعرفة.
7. السجلماسي.(1980). المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع(الطبعة الأولى).الرباط، المغرب: مكتبة المعارف.
8. العربي حسن درويش.(1991). النقد العربي القديم. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
9. إلفت كمال الروبي.(1986). مفهوم الشعر عند السجلماسي. مجلة فصول، المجلد السادس، العدد الثاني، صفحة 35.
10. المرزوقي.(1991). شرح ديوان الحماسة (الطبعة الأولى، الجزء الأول). بيروت/لبنان: دار الجيل.
11. أمين الخولي.(1961). مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب (الطبعة الأولى). دار المعرفة.
12. شوقي ضيف.(2008). البلاغة تطور وتاريخ. القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
13. عبد العزيز عتيق.(2001). في تاريخ البلاغة العربية. بيروت/لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
14. عبد القادر هني.(1991). نظرية الابداع في النقد العربي القديم. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
15. عبد الملك مرتاض.(2019). قضايا الشعريات (متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصر) (الطبعة الأولى). وهران: دار المقدس العربي.
16. عمر أوكان.(2001). اللغة والخطاب. المغرب: إفريقيا الشرق.

17. عوض حسن علي الوادعي.(2017). إعجاز القرآن وأثره في حفظ اللغة العربية، مجلة الدراسات العربية (المجلد 35، العدد1). مصر: كلية دار العلوم، جامعة المنيا.
18. فضل حسن عباس.(1997). البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني (الطبعة الرابعة). الأردن: دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع.
19. قدامة بن جعفر.(1900). نقد الشعر (الطبعة الأولى). مطبعة الجوانب قسطنطينية.
20. مبارك المازن.(2014). الموجز في تاريخ البلاغة. دار الفكر المعاصر.
21. محمد بن عبد الله دراز.(1996). النبأ العظيم (الجزء الأول). الدوحة: دار الثقافة.
22. محمد زغلول سلام.(2002).تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري. الاسكندرية: منشأة المعارف.
23. محمد محمد داود.(2014). كمال العربية ببن حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، نظرات فبما أثير من شبهات وأوهام. القاهرة: دار المنار للطبع والنشر والتوزيع.
24. محمد مندور.(1996). النقد المنهجي عند العرب. القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
25. مصطفى إبراهيم.(1998). في النقد الأدبي القديم عند العرب. مكة للطبع.
26. مصطفى الصاوي الجويني.(1998). أبعاد في النقد الأدبي الحديث. الاسكندرية: منشأة المعارف.
27. مصطفى مسلم.(1996). مباحث في إعجاز القرآن (الطبعة الثانية). الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع.
28. منير سلطان.(1982). البديع تأصيل وتجديد. الاسكندرية: منشأة المعارف.
29. وليد محمد مراد.(1983). نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني (الطبعة الأولى). دار الفكر: دمشق.